

القاموس المدرسي الجزائري؛ مفاهيم، وتقنيات، ومناهج

د. عيسى مومني

جامعة منتوري - قسنطينة، aissa_24@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2016/07/08

تاريخ المراجعة: 2017/05/18

تاريخ القبول: 2017/05/31

ملخص

تستهدف مادة هذا البحث؛ قراءة في القاموس المدرسي الجزائري المعاصر، وكيفية الاستفادة من الدراسة اللسانية في صناعة المعجم. وهو ما نعرض له من خلال: قراءة في العنوان، وخطاب المقدمة. ومواصفات القاموس المقصود بالدراسة، والأسس التي لا يمكن تصوّر معجم بغيرها، وهي المدونة، والترتيب، والتعريف، والشاهد اللغوي والشاهد الصوري. بالإضافة إلى جملة المتلازمات التي تسهم في ثقافة مستعمل القاموس المدرسي.

كلمات المفاتيح: صناعة معجم، لسانيات تطبيقية، قاموس مدرسي جزائري.

*Le dictionnaire scolaire algérien: Concepts, techniques et méthodes***Résumé**

L'objectif de cet article est de présenter une lecture du dictionnaire scolaire algérien actuel ainsi que le recours à l'étude linguistique dans la conception du dictionnaire spécialisé. Au demeurant, nous envisageons de présenter une lecture du titre et de l'introduction, ainsi que les caractéristiques du dictionnaire objet de notre étude et les fondements essentiels du dictionnaire à savoir: le corpus, l'ordre, la définition, l'illustration (linguistique et iconique) ainsi que les apports culturels du dictionnaire contribuant à l'élargissement de la connaissance chez le lecteur.

Mots - clés: Lexicographie, linguistique appliquée, dictionnaire scolaire algérien .

*Algerian School Dictionary: Concepts, Techniques, and Methods***Abstract**

The objective of this article is to present a reading of the current Algerian school dictionary as well as the use of language study in the preparation of the dictionary which deals with lexicography. We plan to introduce in the following points: Reading of the title, the introduction and the characteristics of the dictionary (object of our study) and the basic foundations of the dictionary which are the corpus, the order, the definition, linguistic and iconic illustration as well as the cultural contributions of the dictionary to the broadening of the reader's knowledge .

Key words: Lexicography, applied linguistics, Algerian school dictionary.

تتطلق معايير دراسة القاموس المدرسي الجزائري⁽¹⁾، وتحديد طبيعته، والخصائص التي يتصف بها، من إمكانية إزالة الحدود بين ما هو معجمي يرتبط بالكفاية اللسانية ويتفاوت حجمه تبعاً للغاية المنشودة ولنوعية مستعمله، وما هو موسوعي يتجه إلى العناصر المعرفية المتعلقة بوجود الشيء الذي ترجع إليه، إلى جانب اهتمامه بالمعاني الأساسية للوحدات المعجمية. وهو المعمول به في المعاجم الحديثة والمعاصرة. وأسس هذه المعايير جملة من المفاهيم تقدمها النظريات اللسانية، ومعاجمها، والمُعجمات في وضع المعاجم، وتصنيفها، وصوغ مضامينها.

إن القاموس المدرسي رافد معين في المدرسة الجزائرية؛ بما امتاز به من استقرارات لغوية يمكن أن تصنف طبقاً لمتصورات اللسانيات في حقل المعجمات. وخلاصتها إجابات هذا الحقل الاستفهامي الآتي:

هل حقّق القاموس المدرسي الجزائري مُعجمية⁽²⁾ اللسانيات الحديثة بمجموع علومها: صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، وبلاغية، وأسلوبية، ليكشف أن النص المعجمي كفاية لسانية ورؤية حضارية؟.

وهل توفر له الشاهد، الذي من مهامه، استقصاء المعاني المتعددة، لتمكين كل مدخل من استقلاليته الذاتية تعريفاً وشاهداً، ويحقق العلاقة الموضوعية بينه وبين المداخل القائمة على الترابط والتناسق، ترابط في المعنى، وتناسق في السياق. وهي قاعدة منهجية ترتبط ارتباطاً عضوياً بماهية التعريف باعتبار أن القاموس "كتاب ذو طبيعة خاصة، يمتاز بأنه لا يُقرأ من أوله إلى آخره"⁽³⁾.

- وكيف يمكن أن تحل الصعوبة المرتبطة بكيفية تثبيت تدرج توليد المعاني، وأسبقية بعضها بالنسبة إلى بعضها الآخر.

- وهل ساهم التعريف في إيضاح المعاني المختلفة للمفردات الواردة في قائمته، وتبيان دلالتها؟.

هذا ما نعرض له من خلال قراءة في أول مؤشرات المحاور، والأسس التي لا يمكن تصوّر معجمٍ غيرها كالمُدونة، والترتيب، والتعريف، والشاهد. بالإضافة إلى التعمق في دراسة النص المعجمي وعناصره الأساسية. وجملة المتلازمات لصورة حية عن المفردة واستعمالاتها، يمثل فيها الشاهد وسيلة تعليمية تسهم في ثقافة مستعمل القاموس كقيمة مضافة بجانب التعريف. ثم تأتي بعد ذلك عملية الإخراج والطباعة بالألوان.

أولاً: أول مؤشرات المحاور في نماذج القواميس المدرسية الجزائرية المختارة:

تتطلق هذه المحاولة من عناوين لمجموعة من القواميس المدرسية في الجزائر، وخطاب مقدماتها "كونهما أول المؤشرات التي تتحاور مع المتلقي"⁽⁴⁾. لهذا اعتبرتهما المناهج الحديثة والمعاصرة في نظريات القراءة، وسيميائيات النص، وجماليات التلقي مكونين أساسيين، ودالّين⁽⁵⁾.

إن هذه النماذج من القواميس متداولة بكثرة في السوق، وواسعة الاستعمال بالمدرسة الجزائرية، وموسومة بالقاموس المدرسي. وهذا المكون النصي هو الدافع الأساسي للدراسة.

والقراءة في هذه القواميس تأتي انطلاقاً من المفاهيم الأساسية التي تقدمها اللسانيات والمعجمات، ومن دراسة الأهداف التي يجب على الباحثين العاملين في تأسيس هذه الصناعة أن يضعوها نصب أعينهم لدى صوغ مواد القاموس. وعملاً بمبدأ التدرج، نبدأ بالعنوان، وخطاب المقدمة.

أ- فضاء العنوان:

يؤدي العنوان في النماذج المختارة؛ جملة من الوظائف، منها الوظيفة التواصلية، والهدف منها" تبئير انتباه المتلقي وربط نوع من التواصل بينه وبين المقروء، إضافة إلى خلق نوع من التقارب بينهما، لتحريض المتلقي على القراءة، ومحاولة تقليص المسافة بينه وبين الكتاب⁽⁶⁾ أو وظيفة انفعالية، تأثيرية، إغرائية تثير في القارئ نوعا من الإغراء العلمي، والمعرفي بعبارات هو في أمس الحاجة إليها، فيقبل على شراء هذا الكتاب أو القاموس، والمواظبة على قراءة عمود في صحيفة. أو وظيفة مرجعية إحالية هدفها تعيين موضوع الكتاب، وتحديد غايته، فتشكل هذه الوظيفة بذلك نوعا من التعاقد بين الكاتب والقارئ⁽⁷⁾. وهو ما توفره العناوين الآتية:

- 1- "المنار" قاموس مدرسي للطلاب، عربي عربي، عيسى مومني، دار العلوم عناية الجزائر، ط 2007.
 - 2- "الهدى" قاموس مدرسي عربي عربي، إبراهيم قلاتي، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط 1997.
 - 3- "القاموس الجديد للطلاب" معجم عربي مدرسي ألفبائي، علي بن هادية، الجيلالي بن الحاج، بلحسن بليش، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط 6، 1411 هـ / 1991 م.
 - 4- "مرشد الطلاب" قاموس مدرسي عربي عربي، منشورات المرشد الجزائرية، ط 2008.
 - 5- "اللسان الصغير" قاموس عربي، عبد الهادي ثابت، دار الأمة الجزائر، ط 2001.
 - 6- "المفتاح" قاموس عربي أبجدي مبسط، دار الأمة، الجزائر، 1996.
 - 7- قاموس النجيب، القاموس المدرسي عربي عربي، منشورات نوميديا، الجزائر، ط 2013.
- فإذا وقفت عند هذه العناوين، وجدت أن الوظيفة التواصلية التي يؤديها مصطلح "القاموس" في عناوين هذه المؤلفات، أنه: عَلم على كل معجم لغوي، على التوسع⁽⁸⁾، ووضع خصيصا لشرح مفردات اللغة، ورُتبت على حروف الهجاء. كما تقرب المسافة بين القارئ وبين القاموس، فيكتشف القارئ أن هذا النوع من القواميس يصلح للمتمدرسين. كما أن هذا النوع من المؤلفات يثير انتباه شريحة كبرى من الفئات المذكورة في كل موسم مدرسي جديد لشراء قاموس.

ب- خطاب المقدمة؛ غايات وأهداف:

إن القاموس أو المعجم لم يعد مجرد مادة لاكتساب المعرفة اللغوية فقط، وإنما أضحي وسيلة للاستثمار في اللغة، وعالمها الذي يتميز بالحركية والتطور لاكتساب المعرفة الإنسانية. ومن ثم تأتي المقدمة، لتجعل من القاموس محور انشغالات العصر، وتُبلور مفاهيمه الأساسية، والتي منها: الدافع الرئيس للقاموس، ومواصفات القاموس المشروع، والوظائف التي يؤديها.

إن الأسس المشتركة في هذه المقدمات، هي التي قامت عليها القواميس العربية الحديثة واشتركت فيها في الوطن العربي؛ وهو مجارة العصر، وتحيين المعلومة، وخدمة اللسان العربي، وتسهيل الوصول إلى المعلومة من أقرب طريق⁽⁹⁾. وهو ما توفر في القواميس المقصودة بالدراسة بطرق مختلفة، منها من أشارت إلى هذا الهدف بوضوح، ومنها ما جاء عرضا، ومنها من أغفلته تماما. وهذا ما تلخصه هذه المقتطفات:

لقد ذكر صاحب "المنار" قاموس مدرسي للطلاب، في مقدمة قاموسه أن هذا القاموس "يسعى إلى استيعاب ما تجدد من المعارف، والصناعات مستعينا بمعطيات اللغة الأصلية وفلسفة تكوينها. والمنار قاموس مدرسي أشبه بمصباح ألقى شعاعا على جوانب من اللغة العربية فجمع ما تنثر من جواهرها في بطون المطولات وما استحدث من الألفاظ والمصطلحات، وشاع استعماله في معاهد العلوم والدراسات؛ فلم يقف عند المادة اللغوية بل أضاف

إليها ما دعت إليه الضرورة من الألفاظ المولدة أو المحدثّة أو المعربة فهدم الحدود الزمانية والمكانية وجعل هذه اللغة يتصل حاضرها بماضيها⁽¹⁰⁾. كما حدّد الفئة المستهدفة في هذا المعجم، وطريقة البحث فيه عن الكلمة ليكشف أن للقاموس غايات معرفية، وتربوية، وحضارية. وبعدها أشار إلى طريقة البحث عن الكلمة، وما يحدث فيها من تغيير، وأهمية ذكر حركة الفعل المضارع، والبدء بترتيب الأفعال قبل الأسماء، قصد تحقيق معجمية اللسانيات بمجموع مستوياتها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والبلاغية، والأسلوبية. وفي الأخير خلص إلى وضع رموز للقاموس⁽¹¹⁾.

وأشار واضع قاموس "الهدى" قاموس مدرسي، في مقدمته إلى الهدف من قاموسه بقوله: "كثرت في وقتنا الحاضر المعاجم اللغوية، والمناجد، والقواميس المخصصة لطلاب المدارس، وتتنوع أشكالها، وألوانها، وأحجامها، ولكن حاجة الطالب أو التلميذ إلى قاموس يستوفي مفردات اللغة، ويقدم له شرحها بسهولة ويسر، ما زالت ملحة، لذلك ارتأينا أن نضع بين يديه هذا القاموس المنشود، الذي جمع أكبر عدد من المفردات اللغوية العربية، ويشرحها بطريقة سهلة ميسورة خالية من الرموز المتعبة"⁽¹²⁾.

في حين حصر صاحب "اللسان العربي الصغير"، قاموس عربي، هذا الهدف، في المنهج المتبع في طريقة ترتيب معجمه. فهو عرض الألفاظ حسب نطقها لا على حسب تصريفها واشتقاقها، ومن ثم قصر الوظيفة الأساسية للقاموس في الترتيب والتعريف، حيث يقول "ومن أجل ذلك كان المنهج المتبع في هذا القاموس مغايراً للنظام السابق، حيث عرضت الألفاظ حسب نطقها لا حسب تصريفها واشتقاقها؛ ذلك لأننا نعتقد أن الوظيفة الأساسية للمعاجم هي جمع الكلمات وتعريفها"⁽¹³⁾. والهدف عينه؛ أشاد به أصحاب «القاموس الجديد» باعتبار أن اللغة هي اللغة، والرواية هي الرواية، ويبقى الترتيب السهل الذي يُبعد الصعوبة التي يعانيها الطلاب في الرجوع إلى المعجم، هو الهاجس لدى مؤلفي هذا القاموس، لذلك فهو "يعتمد ترتيب المفردات حسب أحرفها الثلاثة الأولى على نمط "لاروس" الفرنسي"⁽¹⁴⁾.

وجاء في مقدّمة "مرشد الطلاب" أن هذا القاموس "متّسق الإخراج، مشكّل الحرف، مع طريقة سهلة في استخدامه، كما سيأتي في دليل استخدام القاموس"، من غير أن يضع هذا الدليل⁽¹⁵⁾. وهي مقدّمة، يفترض أن تكون مفتاحاً للقاموس، كما جرت العادة، ومثلها، ما نجده في مقدّمة "المفتاح" قاموس عربي أبجدي" دار الأمانة، وقصد منها واضعها أنها جاءت تلبية لمتطلبات العيش في زمن تعتبر السرعة في الاتصال من أبرز سماته الحضارية"⁽¹⁶⁾.

أما مقدّمة "قاموس النجيب"، القاموس المدرسي، فقد جاءت المقدّمة من وضع الناشر، وتحتوي على جدول خاص بالمصادر والمراجع المعتمدة في القاموس، ومفتاح القاموس⁽¹⁷⁾. ويستحسن أن تكون للقاموس مقدّمة، وهذا ما درج عليه أصحاب المعاجم منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب معجم العين.

تستهدف العناوين في هذه القواميس فئة من المتدربين من أبناء الابتدائيات، والمتوسطات، والثانويات، ومراحل الدراسة الجامعية، كما في مجموعة القواميس المختارة، وهو ما يشي به خطاب المقدّمة بصورة مباشرة في "المنار" قاموس مدرسي للطلاب، ونعثر عليه من خلال التلميح كما في "الهدى" قاموس مدرسي، واللسان العربي الصغير. غير أنه أهمل في القواميس الأخرى.

وفي الجملة لقد احتفت مقدمات هذه النماذج المختارة من القواميس المدرسية المذكورة بالغايات والأهداف، أهمها البحث عن طريقة سهلة في الترتيب، كما في "الهدى" قاموس مدرسي، و"اللسان الصغير"، والقاموس

المدرسي الجديد، و"المفتاح" قاموس عربي أبجدي مبسط. وصنف آخر، اهتم بترتيب الكلمات من خلال إرجاعها إلى جذورها، والإشارة إلى صيغها الصرفية، مما يحافظ على خصائص العربية القائمة على الاشتقاق وفلسفة تكوينها وهو ما توفّر في "المنار" قاموس مدرسي، و"قاموس النجيب" القاموس المدرسي عربي عربي.

ج- حظ هذه القواميس من النظريات اللسانية:

يتضح من خلال قراءة في خطاب مقدمات القواميس المختارة أن الواقع الثقافي الراهن يقتضي أن تكون اللسانيات رائدة العلوم الإنسانية، وإليها يسند دور صناعة المعجم، وهي آخر ظاهرة من اللسانيات الحديثة لأن القاموس ليس مجرد عملية جرد لمدونات مختلفة، وإنما له وظائف تعليمية، وتربوية، وثقافية، وحضارية، حصرها المعجميون في: ذكر المعنى، وبيان النطق، وتحديد الرسم الإملائي أو الهجاء، والتأصيل الاشتقاقي، والمعلومات الصرفية والنحوية، ومعلومات الاستعمال، والمعلومات الموسوعية⁽¹⁸⁾. وبهذا استوعب القاموس أو المعجم مستويات الدرس اللساني من صوت، وصرف، ونحو، ومعجم، ودلالة تسري في كل مستوى من هذه المستويات. أما مسألة الترتيب في القاموس أو المعجم فهي تكشف أن الدرس العربي كان على وعي بقضايا "الجمع والوضع"، وهي من قضايا اللسانيات اليوم، وهو ما أشار إليه ابن منظور في مقدمة لسان العرب⁽¹⁹⁾، لهذا لا يحق أن نهمل الترتيب الجذري في القاموس، وهو من الضرورات في العمل المعجمي لبيان أصول الكلمات، وكيفية اشتقاقها. فاللغة العربية لغة اشتقاقية تقوم على رابطة من الكلمات، وليس من الملائم أن نفرّقها فتظهر كالثّنات في القاموس، في مثل "دخل"، حيث نجد "أدخل" في حرف الألف، و"تدخل" في حرف التاء، و"المدخل" في حرف الميم، لا لشيء سوى لمحاكاة ترتيب أبجدي يلائم بعض الطرائق الأخرى على نمط "معجم لاروس" الفرنسي، تضيع فيه عبقرية اللغة العربية، وفلسفة تكوينها. فيقضى على أصول الدلالات، ويهمل كمال الصرف والنحو، لذلك قيل "إذا نظرنا في تمام القاموس العربي، وفي كمال الصرف والنحو، وجب أن نعد اللغة العربية أمّا للغات الأعربية جمّاء"⁽²⁰⁾. ومثل هذه القضايا تغيب على من لا يفقه المعجمية اللسانية بمجموع علومها.

كما أهملت بعض القواميس ذكر حركة فعل المضارعة كما يظهر في "مرشد الطلاب"، وفي "اللسان العربي الصغير"، وفي "الهدى قاموس مدرسي"، ونسيت أن الوصول إلى المعنى إنّما يحصل بتحليل المعنى الوظيفي، مثل الصوتيات، والصرف، والنحو، ويحصل بعلاقات مبررة بين المفردات ومعانيها، كما اكتفت بذكر المعنى الواحد للكلمة، كما في "الأمة" في قاموس "الهدى"⁽²¹⁾. وقاموس "مرشد الطلاب"⁽²²⁾. على الرغم من أن معاني كلمة "الأمة" كثيرة، ووردت في القرآن الكريم بمعان مختلفة، منها المدة والحين، والرجل الجامع لخصال الخير، والمذهب. وبذلك أهملت السياقات التوضيحية في مثل هذه النماذج.

وإن سمة الاختيار، التي تقوم عليها هذه القواميس المختارة هي طريقة معروفة في المعجم العربي قبل أن تكون طريقة لسانية في النظرية اللسانية السوسيرية، وهو شكل يقوم على الاختيار بهدف الاختصار، وهو ما يناسب التحصيل المدرسي.

وجملة هذه الملاحظات تكشف أن صناعة المعجم ترتبط بنظريات، ومقاربات، وتصورات لسانية، لا يرتقي فيها من لم يتحصّن بهذه الأساسيات.

د- مكانة هذه القواميس ووظيفتها:

إن هذه القواميس المقصودة بالدراسة نموذجها في المعاجم القديمة مختار الصحاح، ونموذجها في العصر الحديث هو المعجم الوجيز⁽²³⁾. وما تبعهما من قواميس حديثة في الوطن العربي سارت على نهجهما أو ابتعدت

عن هذا النهج، نذكر منها على سبيل المثال: الرائد المدرسي معجم أبجدي مصور للمبتدئين عربي عربي، لجبران مسعود، دار العلم للملايين. و"زاد الطلاب" قاموس مصور بالألوان عربي عربي، دار الراتب الجامعية.

وهذا النوع من القواميس المدرسية المختارة، أحادي اللغة، وهي العربية، وهي تربط مستعمله بمجتمعه، وأمته، وفكره ومعارفه، وبها نزل الوحي، ومنه تأخذ موقعها بين اللغات الحية، لتصبح لغة حياة، وعمل، وتداول، وبناء نهضة. ويأتي الاهتمام بهذه النماذج من القواميس كرافد معين في المدرسة الجزائرية يقدم معلومات عن استعمال الكلمة من حيث النطق "الصوت"، والسياق "النحو"، والاشتقاق "الصرف" إلى ما هنالك من سمات لغوية بحثية، يقدمها القاموس اللغوي لخدمة الكفاية اللسانية، ويقف عند حدود الدال "الصوت"، والمدلول "المعنى والدلالة" (24).

وهي حقائق تحصل بتحليل المعنى الوظيفي، أو بعلاقات مبررة بين المفردة ومعناها. صورة الشق الأول تظهر في اشتقاق الألفاظ من خلال العودة بها إلى أصولها، وجمع شتاتها في اتساق النص بحيث تستدعي كل علاقة وكل مثال ما يقابله، لهذا نجد لنظرية الأصالة والفرعية في تصور الصرفيين العرب تصريح بنوعين من الأنظمة، وهما نظام الاشتقاق والتصريف، قال الرماني: الاشتقاق اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه الأصل، وهذا ما يحصل منه معنى الاشتقاق (25). والشق الثاني يظهر في التعابير الاصطلاحية، والتدريب على الخبرة بخبايا المعاني في اختلاف المقام، ومسألة التفاوت، ومراجعة المواطن التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها، واستعمالاتها، ومعانيها، ودلالاتها، وبلاغتها في التعبير.

ثانياً: أسس صناعة القاموس المدرسي؛ المتفق حوله والمختلف.

نعرض في هذه الجزئية إلى أساس القاموس المدرسي ومصدر تكوينه، اعتماداً على المعايير التي تعتمدها اللسانيات الحديثة في صناعة المعاجم، وتصنيفها، وصوغ مضامينها. لهذا لا يمكن تصور معجم من غير هذا القاسم المشترك المتمثل في المدونة، والترتيب، والتعريف، والشاهد، أما المختلف فيه فهو مما تجاوز هذه الأسس، وهو عبارة عن تجارب، وتقنيات. فما الذي التزمت به هذه القواميس المختارة، وما الذي حاد عنه؟

أ- المدونة "le corpus":

تتحدد أهمية المدونة في القاموس المدرسي بمدى ما تقدمه للقارئ من وظائف تعليمية، وتربوية، وثقافية، وحضارية، وتربطه بالسياق العام لطبيعة اللغة، "فتشكل جدلية قائمة بين المداخل، والتعريفات، والشواهد، لترابط علاقاتها الإحالية والتشاركية" (26). وتأتي المدونات في القواميس المدرسية المختارة لخدمة الوظائف المذكورة:

1- إذا تأملنا مثلاً في قاموس "المنار" لدار العلوم، عنابة، نجد صاحب القاموس قد حدد الفئة المستهدفة، وأن مادته تتلاءم مع مراحل التعليم الابتدائي، والمتوسط، والثانوي، والجامعي، وتأخذ اللغة العربية من خلال هذه المدونة مكانتها اللائقة، وبذلك فهي ترفع من مستوى المتلقي، لغوياً، ومعرفياً، وثقافياً، كما تعمل على سد الفجوة بين العربية والمصطلحات العلمية الجديدة التي تتدفق بها وسائل الاختراع يومياً لتغطية جميع فروع المعرفة، مثل: الإلكترونيات، والذرة، والمجرة، والجاذبية، والسنة الضوئية، والخلية، والإنترنت، لتؤكد أن صناعة القاموس "على صلة وثيقة بعلم المصطلح، وبنوك المعلومات، والترجمة الآلية" (27). فقد انفتح على مختلف الاختصاصات، ولم يكن بمنأى عن مصطلحات العلم، والفكر، والحضارة.

2- تهدف الميزة الغالبة على هذه القواميس إلى تشكيل المعرفة اللغوية والثقافية حسب مستوى المتلقي الذي يظهر من عنوان هذا الأثر "القاموس المدرسي"، مع التفاوت فيما بينها، وقد شكّل فيها الرصيد اللغوي المستخلص من هذه القواميس المختارة، قاعدة أساسية من الثروة اللغوية من المعاجم القديمة، والحديثة، تخضع بالضرورة لمعايير

الاستعمال ومقاييسه، وتمس التعريفات، والشواهد، والصور، وجوانب كثيرة تخدم الغرض الذي خطط له. وإن اختلفت فيما بينها في الاهتمام بمصطلحات العلم، والحضارة، والتقنيات، والصناعات المختلفة، فإن المتأمل مثلاً في جملة هذه القواميس يجد أن كلمة "إنترنت" تلك الشبكة من أجهزة الكمبيوترات المرتبطة ببعضها والمنتشرة في العالم، وتستخدم أنظمة الاتصالات مثل خطوط الهاتف وشبكات الاتصالات بالأقمار الصناعية في الربط بين هذه الأجهزة⁽²⁸⁾، والتي وردت في "المنار" قاموس مدرسي، تؤكد مدى حاجة القاموس لمثل هذه الكلمات التي لا يخفى دورها في عالم الرقمية، لتجاري الواقع الجديد وسير العصر، وتجعل من اللغة العربية لا تُشعر القارئ بأنها لغة تجافي العلم، ولا توفي بقدرتها على التعبير، ولا يستعصي عليها أي مصطلح علمي. مما يكشف أن عملية التحيين قليلة لسيطرة العامل التجاري على صناعة القاموس⁽²⁹⁾.

وبهذا يظهر في "المنار" قاموس مدرسي، المصطلح بصورته التحينية التي تجعل من صاحب القاموس له الحق في اختراع المصطلح، فهو لا يكتفي فيه بالشرح اللغوي بل يتخطاه إلى الشرح الموسوعي. وهي ضرورة تدعو إلى استيعاب ما تجدد من المعارف والتقنية في شكل قواميس تهتم بالإصدارات العلمية العربية المترجمة في نشاط يستثمر التقنية الحديثة في البرمجيات لخدمة القاموس العربي، والمصطلح العربي.

3- لقد جاء التصنيف في المدونات المختارة بالمدى القائم على كثافة المداخل التي تقاس إما بالاتساع العرضي الذي يحدّد، كم مفردات القاموس، والتي أغلبها في هذه العينة المختارة لا يتجاوز 10000 مفردة، أو بالعمق القائم على، كم معنى تمّ تسجيله تحت كل مدخل، وظلال المعاني والتعبير الاصطلاحية، وهو تصنيف لـ "مالكيليكوف Malkieyevovl" الذي مثّل له بالإسبانية، ونشره لأول مرة عام 1959، وسماه التصنيف النوعي للمعجمات⁽³⁰⁾. 4- إن المداخل اللغوية في القواميس المختارة تشكل الحياة الثقافية للمجتمع العربي لغة وحضارة، ومختلف تحولاتها الصرفية، والنحوية لأداء معنى داخل جمل، وتعبير دالة، وتفتح على الجديد. وقراءة في العينة المختارة تكشف كثرة الشاهد في "اللسان العربي الصغير" قاموس عربي. و"المنار قاموس مدرسي، عربي عربي. و"قاموس النجيب" القاموس المدرسي. و"القاموس الجديد للطلاب" معجم عربي مدرسي ألفبائي. وقد جاء من القرآن، والحديث، والشعر والنثر، وتميّز في هذه القواميس بمعيار الملازمة بين التعريف والسياق من غير إطالة أو إخلال، ويحمل بين مفرداته الإيضاح، ويعطي فكرة عن استعمالات الكلمة في التراكيب المختلفة⁽³¹⁾.

5- لقد راعت الشروح في القواميس المختارة القائمة على الجذر، الجمع بين التزامني والتاريخي، في مثل: "توتر العصب" اشتد. وتوترت العلاقات بين الدولتين: ساءت⁽³²⁾ والمعلوم في هذا التصنيف أن نسبة "التوتر للعلاقات من سعة العربية الجديدة، وليس لنا مثل هذا أو ما يؤول إليه في أساليبنا العربية⁽³³⁾.

وهكذا كشفت مدونة القواميس المختارة أنها ترفع من مستوى المتلقي لغوياً، ومعرفياً، وثقافياً. وتعتمد التصنيف بالمدى القائم على الاتساع العرضي أو الاتساع بالعمق، وتخدم المصطلحات العلمية الجديدة التي تتدفق بها وسائل الاختراع. وإن بعض هذه القواميس حفل بالشاهد اللغوي الذي استخدم بمهارة عالية، وقدرة على الغوص في معاني المفردة الواحدة، بكل دلالاتها حقيقة أو مجازاً. ولا تقوم الإجابة في هذا الأمر على تحديد الدلالات على صورة التقريب، بل تتحرى الدقة، وحسن الضبط. ولغة الشاهد في مدونة هذه القواميس المختارة في أغلبها شاهدة على زمانها، وعلى أزمنة متباينة، ارتبطت بالمعجم بالضرورة فأغنت القاموس بما هو مستعمل، ومتداول بمعانيه المختلفة، وفيها ربط للحاضر بالماضي، وتوسّع في اختصاصات مختلفة.

ب- الترتيب "l'ordre"

تنوعت طريقة ترتيب المفردات في القواميس المختارة، بعضها يتبع طريقة الاشتقاق، مثلما نجده في "المنار" قاموس مدرسي، دار العلوم، و"قاموس النجيب" القاموس المدرسي، منشورات نوميديا. وبعض آخر يذكر إلى جانب الكلمة المشروحة جذرها كما في "مرشد الطلاب". والنوع الثاني "يعتمد ترتيب المفردات حسب أحرفها الثلاثة الأولى على نمط معجم "لاروس" الفرنسي" وهو ما أشارت إليه مقدمة القاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي ألفبائي، وسار على طريقه "مرشد الطلاب" قاموس مدرسي، و"اللسان الصغير" قاموس عربي. و"المفتاح" قاموس عربي أبجدي مبسط.

وقد توفر في هذه القواميس الترتيب بنوعيه؛ الترتيب الداخلي، والترتيب الخارجي⁽³⁴⁾. وعلى الرغم من قيمة المادة المعجمية لهذه القواميس إلا أننا نجد أن هذا النوع من الترتيب، الذي يغفل اعتماد جذر الكلمة، ولا يحاكي إلا معجم "لاروس"، أشبه بمن يتبع طريقة الموضة على حساب الإبداع وعبقريّة اللّغة كما يقال، فهو يهمل فلسفة تكوين اللّغة، في الوقت الذي لم تهمله النظريات اللسانية لذلك "حين ازدهرت نظرية النحو التوليدي التحولي، ثم قيل في سياق مرجعيتها أنها تمثل عودة إلى النحو التقليدي لم يجد تشومسكي في أن يلتصق لها أصلاً لدى "فون همبولت" في مقولته إن اللّغة خلقة، وأنها تستعمل قواعد محدودة استعمالاً غير محدود بل إن تشومسكي اعتدّ نحوً بانيني للسكربتية قطعة من النحو التحولي⁽³⁵⁾. فما الذي يمنع أن ننهج طريقة المعجم القديم في اعتماد طريقة الاشتقاق. وبذلك أهملت بعض القواميس المختارة أن الصّرف يشمل أنماطاً من الصيغ هي أقرب إلى علم الأصوات منها إلى علم الصّرف كما في "افتعل" وتصاريفها إذا كانت فاؤها أحد حروف الإطباق "دالا" أو "ذالا" أو "زايا". وهي حقائق لا يمكن أن تغفل في حقل الدرس العربي؛ إذ "إن العلم لا يزدهر في بلد، ما لم يأت فيه أهل الاختصاص في ذاك البلد بأفكار أصيلة، لا يدين بها إلى غيره"⁽³⁶⁾.

وعليه فإنه "لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج مغفلاً مكانة أمته ومركزها، بل يجب أن تتسجم أفكاره وعواطفه وأقواله وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته"⁽³⁷⁾. مما يكشف بأن المعجم أو القاموس العربي ليس هيكلًا بدون روح أو عملية جرد لمدخل مع تعريفات مقتضبة لا تقي بالغرض بل له جوانب تربط بين الاشتقاق وهو ما يسمى بالبحث في المعنى وإليه ينسب عامل المحافظة على اللغة من خلال الربط بين القديم والحديث. لذلك يمكن القول: إن كلمة "القربة" مثلاً، لم تعد مستعملة بكثرة في الشرب، لكن ورودها في مشتقات الفعل "قرب" يجعلها قريبة من سمع القارئ، وهذا الذي جعل هذه اللغة يتصل أولها بأخرها. كما تستطيع أن تضيف إلى هذه الكلمات ألفاظاً جديدة في مثل "حسب" يضاف إليها حاسوب. فالعربية أمدت بالأصول والأوزان وبقي الباب مفتوحاً إلى التجديد. وهو لب الصناعة المعجمية التي تشتمل على خطوات أساسية خمس، هي: جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل، وترتيبها طبقاً لنظام معين، وكتابة المواد، ثم نشر النتائج النهائي، وهي كذلك تستفيد من علم المفردات الذي يهتم باشتقاق الألفاظ وأبنيتها، ودلالاتها المعنوية والإعرابية، والتعابير الاصطلاحية، والمترادفات، وتعدد المعاني⁽³⁸⁾.

ج- التعريف "la définition"

تكمّن قيمة المعجم أو القاموس في مدى دقة تعريف مداخله، وقدرته على تنظيم مفردات كل الأصناف الطبيعية، والعلمية، والتكنولوجية، والفلسفية، والأدبية، والفقهية، والقانونية، وإظهارها في شكل وحدة متناسقة. ويظهر من خلال النص المعجمي الآتي، في مادة "لَحَقَ" بمعانيها المختلفة. حيث ترتب فيه الكلمات ترتيباً داخلياً، مثل: "أَلَحَقَ" فلاناً به: أَتْبَعَهُ إِيَّاهُ. و"التحق" به: أَدْرَكَهُ. و"تَلَحَّقت الأشياءُ: تَتَابَعَتْ. و: أَدْرَكَ بَعْضُهَا

بعضاً. و"الْحَقُّ": ما يجيء بعد شيء يسبقه. و"المُلْحَق": ما يُلْحَقُ بالشيء بعد الفراغ منه. و: مُوظَّفٌ يُعِينُ فِي سَفَارَةِ الدَّوْلَةِ لِلْقِيَامِ بِعَمَلٍ خَاصٍّ. و: صفحة أو صفحات تصدرها الصحيفة اليومية بعد صدورها الخاص لخبر مهم⁽³⁹⁾ وبهذه الخصوصية يكتسب التعريف مكانته المعجمية. فهو يعرض فيه المدخل، وترتيبه، والنص المعرف، وهو التعريف، الذي سماه القدامى الشرح والتفسير، والعناصر الآتية تمثل النص المعجمي في أي قاموس.

1- تحليل المعنى الوظيفي: "الصوتي، والصرفي، والنحوي":

وبناء على النص المعجمي لمادة "لَحِقَ" نجد أن هذه القواميس المختارة تلاامت مع التنوع الذي يطلبه القاموس، يبرز فيها تحليل المعنى الوظيفي كما في الصوتيات من خلال نطق المدخل، وضبط حركته، ورسم حركات الحروف رسماً كاملاً أو جزئياً. وفي المستوى الصرفي يعمل المعجمي على رصد التحول في القوانين الصوتية كالمماثلة والإدغام، ومعلومات عن صيغة الفعل في الماضي، وضبط حركة حرف مضارعها "يَلْحَقُ"، وكل الكلمات المشتقة التي تكون عادة من علامات لغوية دنيا "معجمات"، و"صرفات"، أو ما يوجد التصريف من صيغ للمثنى، والجمع في مقابلة المفرد. وفي التعريف النحوي توفرت المعلومة

عن المدخل، وصياغة الأفعال في الماضي، والمضارع، والمصدر. كما بدأ بالفعل قبل الاسم، فجاء ذكر "لَحِقَ" قبل "الْحَقِّ"، والملحق. وإذا كان الوصول إلى المعنى يحصل بتحليل المعنى الوظيفي كما في الصوتيات، والصرف، والنحو، وهذا ما يطلق عليه بالكفاية اللسانية، فذلك يحصل من خلال علاقات مبررة بين المفردات ومعانيها، تبرز في التعريف الدلالي، والبلاغي، والمجازي، والأسلوبي.

2- التعريف الدلالي:

ويقف على التعريف الاسمي، ويكون بالتّرادف، الذي يبحث في التكافؤ بين المفردات، ودوال تعبر عن مفهوم، مثل "البطيخ" في المشرق، و"الدُّلّاع" في المغرب العربي كله. لهذا نجد معجم زاد الطلاب "عربي عربي" دار الراتب الجامعية، بيروت، 2013، يعرف "البطيخ" بقوله: نبات ثمره لذيذ له لبّ أحمر أو أصفر. وهذا التعريف يصدق على الدُّلّاع في بلاد المغرب. كما يكون التعريف بالضد، في مثل "كُرم الرجل أعطى بسهولة وجاد. و: ضد لؤم⁽⁴⁰⁾. والإحالة، وهي طريقة تحيل معنى لفظة أخرى، مثل "اتصل": (انظر: وصل)، و"اتعد": (انظر: وعد)⁽⁴¹⁾. أو تعريف منطقي، يكتسب خصوصية إيضاح التعاريف الخاصة بما هو علمي "طب، وفيزياء، وكيمياء، وجيولوجية"، مثل ضبط مفهوم كلمة: "جراثيم، وفيرس، وجاذبية، وأنسولين، وأدرينالين، وجيلاتين، وجرانيت". ومنها ما يرتبط بالعلوم الإنسانية من "تاريخ، وجغرافية، وفلسفة بفروعها، وفقه، وقانون". أو بنيوي، يقوم على تعريف الشيء بما يعوضه في نفس السياق، يهتم باستعمالات المفردة في سياقات مختلفة تفرض نوعاً من التحكم في التعريفات، ويفرضها التفتيش عن دلالة المعنى كما سبق عرضه في الترتيب الداخلي لجذر مادة "لَحِقَ".

وهكذا يستوعب القاموس أجناس مختلفة من المعارف. وهي عملية معجمانية بامتياز يعمل فيها المعجمي على التوافق بين القديم والحديث، مثل "المُلْحَق" بمفهومه القديم، ومفهومه الحديث، حيث "ينطلق من الدال إلى المدلول، ومن الاسم إلى المفهوم الذي ينقلب إلى مفاهيم عدة قائمتها مفتوحة لأسباب اجتماعية، ونفسية، وحضارية متنوعة، حسب الباث، والمستقبل، والمترجم⁽⁴²⁾.

إن القديم لا يمكن أن نفرط فيه بحكم الجانب الاجتماعي، والنفسي، والحضاري الذي يمثلته. وأما الحديث فهو مستعمل، ومتداول، تفرضه ضرورات الحياة كما تفرضه الضرورة المعجمانية. وهذا الترابط يكشف أن اللغة العربية

وحدة لغوية موضوعية بين ماضيها وحاضرها يؤدي فيها الجذر الاشتقاقي الجانب الأساسي في توليد معاني جديدة، إنه مبلغ العربية في ضبط المشتقات بالموازين التي تسري على جميع أجزائها؛ فقد أمدت مجتمع الحضارة بالحروف والأصول، وأمدت أيضا بعدد من القوالب أو الأوزان⁽⁴³⁾، كما أنها ذات قدرة بارعة في هضم الألفاظ الأجنبية وجعلها مثل الألفاظ الأصلية فيها، فكلمة "فيلسوف" كلمة يونانية مركبة، ومعناها الأول محب الحكمة، دخلت إلى العربية مع عدد كبير من ألفاظ الحضارة والثقافة اليونانية، وعرفت الحضارة الإسلامية، لكن العربية لم تكثف باستخدامها فقط بل كونت منها كلمات جديدة فصاغت الفعل "تفلسف"، وصاغت كلمة "فلسفة" وكلمة "المتفلسفة" وكل هذه الكلمات صيغت وفق الضوابط العربية من المادة الأجنبية⁽⁴⁴⁾، وأسست للصلة في المعنى والمبنى بين الكلمة وجذرها، فهي تتطور ولكن لا تتغير. وهي مزايا يوفرها القاموس المدرسي للمتعلمين.

3- التعريف البلاغي:

يمثل علم البيان، أحد أقسام البلاغة، وميدانه الخروج باللغة عن أصل ما وضعت له. وهو أكثر صلة بالدراسة المعجمية باعتباره يبحث في العلاقة بين الكلمة ومدلولها بحسب الوضع، فلا يكون أوسع منه، ولا أضيق في الدلالة⁽⁴⁵⁾. ومن ثم يأتي المعجمي ليتحسس طرق التغير، والتفاوت في الكلام، ويرصد علاقات عرفية اعتباطية، أو حدود يضبطها الجانب الاجتماعي، ويأتي المعنى من خلالها على صور مختلفة، مثل: "العَجَزُ" في مادة "عَجَزَ" هي مؤخر الشيء. و: الشَطْرُ الأخير من بيت الشعر (ج) أعجاز. وأعجاز النخل: أصولها. وأعجاز الأمور: أواخره⁽⁴⁶⁾. لقد جاء معنى "العَجَزُ" على صور مختلفة:

أ- مؤخر كل شيء. ب- الشطر الأخير من بيت الشعر. ومن ثم قيل: أعجاز النخل: أصولها. وأعجاز الأمور: أواخرها وهذا التعبير في صورتين لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية، والانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما للآخر بوجه من الوجوه، ثم يأتي المعنى المعجمي للكلمة، وهو مؤخر كل شيء، وتعدد احتمالات القصد ليأتي أكثر من معنى في علاقة المشابهة بين الشطر الأخير من بيت الشعر، وأعجاز النخل، وأعجاز الأمور، ويتدرج ترتيبها من المحسوس إلى المجرد.

وهكذا يظهر الجانب البلاغي في القواميس المختارة، والذي يمثله علم البيان، ليكون أساسا لشرح طبيعة المعنى المعجمي، وتعدد احتماله.

4- التعريف المجازي:

ويحاول المعجمي من خلاله رصد المعنى المستخدم قديما، وما طرأ عليه من معنى جديد. فكم من استخدام بطريقة تبعث الغرابة، ويمرور الزمن صار مألوفاً، باعتبار دلالتها على المعنى المجازي الجديد دلالة على سبيل الحقيقة⁽⁴⁷⁾. ولنا في لغتنا مجازات دلالية تحولت إلى دلالات واسعة. ومن الأمثلة نذكر: "رَكَّزَ، مَثَّلَ"، بتشديد "الكاف" و"الطاء". فإذا رجعنا إلى القاموس وجدنا أن النص المعجمي لـ "رَكَّزَ"، هو "رَكَّزَ يُرَكِّزُ تَرْكِيزاً الشيءَ: رَكَّزَهُ وَثَبَّتَهُ. وفكره في كذا: حَصَرَهُ. والمَحْلُولُ في الكيمياء: زَادَ نِسْبَةَ الذَّائِبِ إِلَى المُذِيبِ دون أن يصل إلى حد التشبع⁽⁴⁸⁾ وإن استخدام "مَثَّلَ" في القاموس كالاتي: مَثَّلَ يَمَثِّلُ تمثيلاً بفلان: نَكَلَ بِهِ، بتشويه خِلْقَتِهِ. والشيء بالشَّيْءِ: شَبَّهَهُ بِهِ. والمَسْرُوحِيَّةُ: عَرَضُهَا عَلَى المَسْرُحِ. وبلاده: قَامَ مَقَامَهَا⁽⁴⁹⁾. وكل هذا من الاستخدامات الجديدة للفعل "رَكَّزَ، و"مَثَّلَ".

لقد انتقل الفعل "رَكَّزَ" من الحيز المشهور، وهو تثبيت الشيء في الأرض، إلى مجرد المشابهة والمحاكاة، فقيل: رَكَّزَ فكره في كذا، أي حصره. ومثلها: رَكَّزَ المحلول. وكذلك في "مَثَّلَ"، فقد انتقل بهذا الفعل من القديم إلى

الحديث⁽⁵⁰⁾، من "مَثَلٌ بِالْقَتِيلِ" أي نكل به، وبتشويه خلقته إلى الحيز المشهور اليوم، وهو فن التمثيل، إلى مجرد المشابهة والمحاكاة، فقليل: هو يُمَثِّلُ بلاده، أي يقوم مقامها.

ومثل هذه المجازات كثيرة في القاموس العربي، يشار إليها بصيغة «يقال»، فبعد ذكر المعنى الحقيقي تأتي بعده المجازات الدلالية التي صارت مستعملة في مثل: «لَعِبَ» بالمعنى المشهور، والمعنى المجازي، مثل: "هو يلعب بالنار"، وكذلك في "سَهَرَ" بالمعنى الحقيقي المشهور، والمعنى المجازي: هو يسهر على المصلحة العامة⁽⁵¹⁾ ومن ثم يشيع المجاز حتى يصبح حقيقة، يزود الرصيد اللغوي والمعجم بمدلولات جديدة ومتجددة.

5- التعريف الأسلوبى:

وفي هذا التعريف تبرز الأساليب التي تعد عدولا عن المعيار المعتمد، يدرك من خلالها صانع المعجم مستويات الكلام وخصائصه التعبيرية، كما تظهر في المغايرة في جمع مفردة، مثل: "الْعَدْلُ": الإنصاف. و: الشاهد بين الناس. وجمع هذه المفردة عُدُولٌ. و: الفداء. وجمع هذه المفردة أَعْدَالٌ⁽⁵²⁾.

لقد عمد إلى التفريق بين الجمعين من خلال ذكر المغايرة في الجمع. غير أنه يحذر لو ذُكر الشاهد لمفردة "الفداء" التي وردت في القاموس كمعنى من معاني "العدل" لدفع اللبس عنها، وتأكيد صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق. وبالإضافة إلى المغايرة، فقد يلجأ المعجمي، لفك شفرات تعدد المعنى، وتعدد مقاصده كأن يضمن سلسلة من المنبهات لأجل تدقيق الطاقات الكامنة في اللغة، ورصد التعبير الذي يفصح عن نفس المحتوى، كالتنبيه من خلال سياقات كثيرة، مثل: "اعْتَدَلْ": تَوَسَّطَ بَيْنَ حَالَيْنِ فِي كَمٍّ أَوْ كَيْفٍ أَوْ تَنَاسَبَ. و"جَوَّ معتدل": بين الحرارة والبرودة، و"جسم معتدل": بين الطول والقصر أو بين البدانة والنحافة⁽⁵³⁾. أو الإحالة على تعبير في حدود ذات أبعاد يقف عنده النص المعجمي كالبعد الثقافي، والاجتماعي، والعقدي من خلال التأكيد على استخدام معين، أو نسبة إلى مجهول بكلمة "قالوا"، مثل: "الأحد": بمعنى الواحد. وقالوا: لا يُوصَفُ به إلا الله، وهو أول العدد⁽⁵⁴⁾.

إن ما يلاحظ على هذه القواميس المختارة أنها جاءت متعادلة في كثير من الكلمات، وأن التعاريف جاءت مدققة، غير أن بعضها أهمل ضبط حركة حروف المضارعة في الجانب الصوتي، مثل "اللسان" العربي الصغير، و"مرشد" الطلاب. في حين جاءت هذه الميزة واضحة في "المنار" قاموس مدرسي، و"المفتاح" قاموس عربي أبجدي مبسط، و"قاموس النجيب" القاموس المدرسي، و"القاموس الجديد للطلاب" معجم عربي مدرسي ألفبائي. أما التعريف المنطقي الخاص بما هو علمي فيظهر بصورة واضحة في قاموس "المنار"، قاموس مدرسي. و"القاموس الجديد للطلاب" معجم عربي مدرسي ألفبائي. في الوقت الذي توفر التعريف البنيوي، الذي يهتم باستعمالات المفردة في سياقات مختلفة بصورة أوضح في كل القواميس. كما طرقت هذه القواميس مجال العلوم الإنسانية من تاريخ، وجغرافيا، وفلسفة بفروعها، وفقه وقانون، بشيء من الاختصار مما يؤكد بأنها قواميس عامة، وليست موسوعات.

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر أن التعريف بـ "الضد" جاء لتوضيح الألفاظ التي تعتبر عادة محل إشكال يتصرف فيها المعجمي أشبه بمعادلة طرفيها يفصح عن محتوى عميق، وأن التعريف البنيوي طغى على الكثير من الكلمات التي تحتاج إلى ما يعوضها في السياق.

وعلى الجملة يمكن القول إن هذه القواميس المختارة جاءت كالاتي:

1- لقد جمعت هذه القواميس المدرسية الكثير من الإفادات اللطيفة؛ اللغوية، والفكرية، والثقافية،

والحضرارية، وكشفت عن كفاية لسانية راعت التعاريف فيها تقديم الفعل على الاسم، وقاعدة تقديم الأصل على الفرع، وجانب التدرج في ترتيب الكلمات من المحسوس إلى المجرد، وخالفت المعاجم القديمة في الترتيب الداخلي، كأن نجد بعضها في المعاجم القديمة، بدأ بالفعل مرة، وبالمصدر مرة أخرى، وبأحد المشتقات مرة ثالثة، كما تم اختيار نماذج للشاهد على مقاس نماذج أخرى في السياق. بالإضافة إلى الالتزام بحدود الجانب الاجتماعي، والثقافي في التعريف البلاغي.

2- وفي التعريف الدلالي يلجأ المعجمي إلى فك الالتباس، والغموض في الأشياء المتشابهة كالترادف وغيرها. وتغطية معنى المدخل بوضوح يكشف أن تحديد المعنى تتداخل فيه الكثير من القضايا.

3- لقد قصرت هذه القواميس في الإشارة إلى ضبط حركات بعض المفردات التي يتطلب التذكير بوجوهها المختلفة، مثل "الكلمة والكلمة والكلمة" لأن الاختلاف يعود إلى أمر لهجي، بمعنى أن ذلك حاصل في كلام العرب، وأنهم كانوا أصحاب لهجات متفرقة، وأن خلق لغة فصيحة كان بالانحياز إلى لغة القرآن الكريم، حتى لا يقع القارئ في لبس وعدم فهم، عندما يجدها في كتابات بصورة مختلفة.

4- إن بعض التعاريف في بعض القواميس المقصودة بالدراسة لازالت تعتمد إلى تفسير الكلمة بمجهول لأن المجهول لا يعرف بمجهول مثله، والمعلوم لا يعرف بما كان أدنى منه رتبة في العلم، ومثل هذا التعريف، قولهم: الباحث هو المحقق، المنقّب، كما ورد في المادة المشروحة في "مرشد الطلاب". وفي هذا تجريد للتعريف من الدور المصرح به.

5- لقد جاءت المداخل المعجمية محكومة بالتنوع، والاتساق على الرغم من أنها وافدة من كل الاختصاصات العلمية المختلفة.

د- الشاهد اللغوي والشاهد السوري في القاموس المدرسي الجزائري:

لا قيمة لمعجم دون شاهد، كما لا يمكن إغفال قيمة الشاهد المضافة بجانب التعريف للمزيد من الإيضاح، وتأكيد التطابق من حيث الشكل والمضمون. ومن المميزات التي توفرت لبعض هذه القواميس المختارة :

1- توفرت على الشاهد اللغوي من القرآن الكريم والحديث الشريف، وكلام العرب شعراً ونثراً. كما يظهر في "المنار" قاموس مدرسي. و"قاموس النجيب" القاموس المدرسي. و"اللسان العربي الصغير" قاموس عربي.

و"القاموس الجديد للطلاب" معجم عربي مدرسي ألقائي. وتبرز أهمية الشاهد في هذا الشأن أنه إضافة تبعد الغموض. ومن ثم جاءت بعض القواميس المختارة شاحبة اكتفت بالكلمة وما يقابلها من الشرح بدعوى الاختصار، وأغفلت أهمية ذكر الشاهد، وقصرت في إبراز التركيب الصرفي لعرض المدخل في جميع الأزمنة كذكر مضارع الفعل. وهذه صورة تشوّه المعلومة لأن الفعل المضارع قياسي لهذا وجب ذكره، كما أنها لم توفر لبعض الشروحات المواد الموسوعية بحسب احتوائها وغزارة التعليق التي تفوق ما يلزم التعريف الموجز لأن تقديم بعض المفردات غفلاً من التعريف مدعاة إلى الوقوع في أوهام كثيرة لهذا وجب شرح المفردات بطريقة علمية متخصصة تضاهي أعمال لجان المراجعة العلمية المتخصصة. أما الشاهد السوري المتمثل في الألوان والرسوم لتوضيح المعاني، فقد حفلت به الكثير من القواميس، مثل: "القاموس الجديد للطلاب" معجم عربي مدرسي ألقائي، مصور بالألوان يمكن أن يرتقي إلى مستوى ما جادت به الدراسة المعجمية الحديثة في مجال الضبط، والتحديد، والتعريف، والاصطلاح، وتوظيف الشاهد اللغوي، والشاهد السوري. ومن القواميس التي احتفت بالشاهد السوري أيضاً في هذه المجموعة المختارة، "المنار" قاموس مدرسي. و"الهدى" قاموس مدرسي. وقد شكّل الشاهد في هذه القواميس

عنصراً من البنية الصغرى داخل البنية الكبرى، يشكّل في ضوئها إضافة حيوية، بكونه يبعث حرارة دينامية في ذات المدخل⁽⁵⁵⁾.

أما "اللسان الصغير"، قاموس عربي، فعلى الرغم من قيمته العلمية، وتوظيفه للشاهد اللغوي بإحكام، فإنّ الشاهد السوري جاء قليلاً، ومثله "المفتاح" قاموس عربي أبجدي مبسط، والقلة أيضاً بالنسبة لهما في المصطلحات العلمية التي يحتاجها المتدريس في العصر الحديث. في حين حفل "الهدى" قاموس مدرسي، بالشاهد السوري، وغفل الشاهد اللغوي، ومثله "مرشد الطلاب" قاموس مدرسي الذي لم يعتمد الشاهد اللغوي، واكتفى بمجموعة صور قليلة في آخر القاموس. وفي هذا إغفال للقيمة المضافة التي يوفرها الشاهد اللغوي للقاموس بجانب التعريف للمزيد من الإيضاح وتأكيد التطابق من حيث الشكل والمضمون.

وبهذا حققت هذه القواميس صفة الشمول والتغطية للمفردات وهي صفة المعاجم الخاصة في تعاملها مع اللغة بحركة دائبة وتغيّر مستمر⁽⁵⁶⁾.

ثالث: ١- المختلّف حوله في صناعة القاموس المدرسي، ودوره في ثقافة مستعمله:

لقد انقسم أصحاب هذه القواميس إلى قسمين؛ القسم الأول احتفى بالشاهد، والقسم الثاني أغفل هذه القيمة المضافة، فما قيمة الشاهد في ثقافة مستعمل القاموس المدرسي، وبماذا تميز الشاهد في هذه القواميس؟. وهل يمكن إصدار قاموس من غير مقدّمة، وما دور ذكر اسم المؤلف في كسب ثقة القارئ؟.

1- قيمة الشاهد في القاموس المدرسي:

أ- يحمل الشاهد بين مفرداته الإيضاح بواسطة الاستعمال، ويختار منه المعجمي ما يسمّ تعبيره بالوضوح، ويميز القواميس التي التزمت به، بمعيّار الملاءمة بين التعريف والسياق من غير إخلال أو إطالة. وجاءت العلاقة بين الشاهد والمدخل قائمة على الترابط والتناسق؛ ترابط في المعنى، وتناسق في السياق، حيث يتضمّن المعنى ذاته. كما "اكتسى صبغة خاصة باعتباره عنصراً من البنية الصغرى "microstructure" داخل البنية الكبرى "macrostructure" حيث يشكّل في ضوئها إضافة حيوية تبعث حرارة دينامية في ذات المدخل⁽⁵⁷⁾. ومن ثم فإنّ التحصّن بفضيلة الشاهد في القواميس المختارة جاءت وفاء لطريقة القدامى في صناعة المعجم العربي غير أنها تكاد تصبح مهملة في المعاجم الحديثة والمعاصرة بدعوى الاختصار.

ب- يُسهم الشاهد عند المتمسكين به في تشكيل ثقافة الأمة، وإثراء ثقافة القارئ بمعارف، يفترض أنها خضعت لعملية الانتقاء والفرز، كونه يأتي مديلاً بما يفرّق بين الآلية القرآنية، والحديث النبوي الشريف، والبيت الشعري، والحكمة، وهو ما يوسّع من مدارك القارئ، ويشجعه على الإقبال على تمثّل الشاهد لما يمتاز به من سلامة تعبيرية، وحجة لغوية، زيادة على أنه محل تداول، واعتماد، ليقع في مقام الإيضاح بواسطة الاستعمال، وهو ما قصر فيه القاموس الحديث غالباً.

2- دور مؤلف القاموس في كسب ثقة المتلقي:

إن بعض هذه القواميس المدرسية المختارة لا يصرّح فيها بأسماء مؤلفيها، والمستحسن أن يصرّح فيها بالمؤلف بهدف كسب ثقة المتلقي واستدراجه إلى خبايا القاموس. كما أنّ بعضها يخلو من المقدّمة التي درج أصحاب المعاجم على تصدير معاجمهم بها، وهي ضرورية للتصريح بمنهج المعجم في اختيار المداخل، أو تحريرها، وغيرها من إرشادات الاستخدام، والاستفادة من القاموس أو المعجم، وبيان مختصراته.

خلاصة

وتأتي هذه التحليلات لتكشف جملة القضايا المستفادة من مدونة القواميس المدرسية المختارة.

1- إن مثل هذه العينة من القواميس المدرسية المختارة؛ تزود القارئ بكفاية لسانية تؤكد أن اللسانيات هي إقرار لعلوم اللسان من لغة، ونحو، وبلاغة، وأدب، كما يقول ابن خلدون في المقدمة، كما ترتبط مستعمل القاموس بفكره، ومعارفه، وتكشف له أن مدخل القاموس هو الكلمة المعروضة للشرح والتفسير، وأن النص المعجمي بظاهرتي "الجمع والوضع" هو الأساس الذي تقاس به قدرة المعجم على أداء وظائفه المعرفية، والعلمية، والتربوية، والثقافية. ومن ثم تشمل مفاهيمه كل مقولات اللغة الأساسية، وما إليها من رؤى حضارية تسهم في ثقافة مستعمل القاموس.

2- وإذا كانت المعجمية الحديثة تستوجب ثمانية تعريفات أو نصوص فإن هذه الدراسة قد استوفت جوانب تحليل المعنى الوظيفي من صوتيات، وصرف، ونحو، من جهة، ومن جهة أخرى عرضت إلى علاقات مبررة بين المفردة ومعناها، تسهم في إثراء الشروح باستقرارات واسعة تكشف الخبرة بالمعنى في مدونة القواميس المختارة، والمتداولة في المدرسة الجزائرية.

3- يزود القاموس المدرسي مستعمله بالمصطلحات الجديدة التي يحتاجها، والتي صارت مقصورة على لغة الاختراع في المعاملات الإدارية، والوثائق، والمسميات، وحديث المال والأعمال، والمخترعات الحديثة.

4- تكشف القراءة في مدونة القواميس المختارة أن صناعة القاموس المدرسي ترتبط بنظريات لسانية لا يمكن إغفالها يعمل فيها المعجمي بقدر الإمكان على إزالة الحدود بين ما هو معجمي مرتبط بالكفاية اللسانية، وبين ما هو موسوعي. كما تعتمد مفاهيم، ومنهجيات، وتقنيات، ومصطلحات تفرض على من يتصدى لصناعة معجم أو قاموس أن يتزود بها. وهذا ما عملت هذه الدراسة على إبرازه في القواميس الجزائرية المختارة كعينة للدراسة.

المراجع والهوامش:

- 1- ظهر مصطلح "المعجم" عند علماء الحديث قبل أن يظهر عند علماء اللغة. وأصل مصطلح "القاموس" يعود إلى الفيروز آبادي، صاحب القاموس المحيط، ثم أخذت كلمة "قاموس" تشيع على كل الألسنة، فأقربها مجمع اللغة العربية في معجمه الوسيط، والتصقت صفة "القاموس" بالمعاجم الثنائية للغة، وظهرت بكثرة في عناوين القواميس موضوع هذه الدراسة. انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، ط 2008، المقدمة / البدراني زهران، المعجم العربي تطور وتاريخ في ضوء نظريات علم الدلالة لدى المحدثين، دار الأفاق العربية، ط 1، 2009، ص 18. 20/ عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان ناشرون، ط 2، 1994، ص 50/ وكذلك المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، مادة: قمس.
- 2- تمثل المعجمية المظهر التطبيقي للمعجم، وتشاطر أحياناً المعجمية في مشاغلها التي تعنى بالمظهر النظري للمعجم. وتعني المعجمية صناعة المعجم. وتأتي المعجمية خلافاً للمعجمية علماً لسانياً اجتماعياً حضارياً حديثاً *محمد رشاد الحمزاوي المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة / مصطلحاتها ومفاهيمها، مركز النشر الجامعي، 2004، ص 175، 176.
- 3- بسام بركة، المدخل المعجمي وتصميم الجذاذة، من كتاب: نحو معجم تاريخي للغة العربية، مجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، 2014، ص 176.
- 4- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد، ط 1، 2009، ص 100.
- 5- نفسه، ص 99.
- 6- نفسه، ص 103، 104.
- 7- نفسه، ص 105.

- 8- جاء في المعجم الوجيز (القاموس): البحر العظيم. و: علم على معجم "الفيروزبادي". و: كل معجم لغوي على التوسع. مادة: ق.م.س.
- 9- وهو ما نجده في مقدمة الرائد المدرسي لجبران مسعود، وصرح به إبراهيم مذكور في مقدمة المعجم الوجيز.
- 10- وهي طريقة لسانية "في النظرية اللسانية السوسيرية، يمثل هذا المفهوم مصطلحا مركزا، يكون فيها التخيير على مستوى محور الاستبدال أو التعويض، والتخيير الثاني مربوط بالسياق *محمد رشاد الحمزاوي، المعجمية مقدمة نظرية مطبقة/ مصطلحاتها ومفاهيمها، ص 200.
- 11- عيسى مومني، المنار قاموس مدرسي، دار العلوم، الحجار، عنابة، 2007، المقدمة.
- 12- إبراهيم قلاتي، الهدى قاموس مدرسي، دار الهدى، عين مليلة، 1997، المقدمة.
- 13- عبد الهادي ثابت، اللسان العربي الصغير، قاموس عربي، دار الهداية، قسنطينة الجزائر، 2001.
- 14- علي بن هادية، والجيلالي بن الحاج، وبلحسن بليش، القاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي ألفبائي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 6، 1411 هـ / 1991 م، المقدمة.
- 15- مرشد الطلاب قاموس مدرسي، عربي عربي، منشورات المرشد الجزائرية، برج الكيفان، الجزائر، ط، 2008، المقدمة.
- 16- المفتاح، دار الأمة، برج الكيفان الجزائر، 1996، المقدمة.
- 17- قاموس النجيب، القاموس المدرسي، عربي عربي، نوميديا للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 2013، المقدمة.
- 18- أحمد عمر مختار، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، 2009، ص 115.
- 19- يقول ابن منظور: "ورأيت علماءها بين رجلين؛ أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه فلم يقد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعنا إجادة الوضع مع رداءة الجمع." *لسان العرب، دار المعارف، المقدمة، ص 11.
- 20- عمر فروخ، عبقرية اللغة العربية، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1981، ص 8.
- 21- إبراهيم قلاتي، قاموس مدرسي، ص 20.
- 22- مرشد الطلاب، قاموس مدرسي، ص 25.
- 23- معجم مختار الصحاح للرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ط 1، 2007، دار السلام، القاهرة. والمعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، رقم 9917 / 1992.
- 24- بسام بركة، المدخل المعجمي وتصميم الجاذبة، ص 177.
- 25- محمد عبد العزيز الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، ط 1، 2006، ص 92 أنظر.
- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس "إن لعلم العرب أصلا وفرعا" شرحه وعلق عليه أحمد حسن بسج، منشورات محمد ببيزون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1997، ص 11.
- 26- عبد الغني أبو العزم، مقدمة معجم الغني الزاهر، مجلة الدراسات المعجمية المغربية، العدد التاسع والعاشر، 2014، ص 13.
- 27- علي القاسمي، صناعة المعجم، وعلم اللغة، جامعة الملك سعود، 1991، مقدمة الطبعة الثانية.
- 28- عيسى مومني، المنار قاموس مدرسي عربي عربي، الكلمة المعروضة للشرح: "إنترنت".
- 29- عيسى مومني، واقع استثمار القاموس في المدرسة الجزائرية، الإنجازات والتصورات المستقبلية. مداخلة بالملتقى الدولي "الاستثمار في اللغة واقع وآفاق" جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة يومي 15 و16 نوفمبر 2015.
- 30- علي القاسمي، صناعة المعجم، وعلم اللغة، مرجع سابق، ص: 25.
- 31- ومن أمثلة الشاهد في "المنار" قاموس مدرسي، الكلمة المعروضة للشرح "الأحوى": هو السواد المائل إلى الحمرة. و: النبات المسود. في القرآن الكريم (فَجَعَلَ غُثَاءً أَحْوَى) [الأعلى:5]. والشاهد من النثر، ص: 258، "السيهل": هو الرجل الفارغ لا شيء معه. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لأكره أن أرى أحداً سِهلاً لا في عمل دنيا، ولا في عمل آخرة. وفي "اللسان العربي، قاموس عربي، المادة المعروضة للشرح: "البرزخ": هو الحاجز بين شيئين (ج) برازخ. قال تعالى (بينهما برزخ لا يبغيان). وفي الشاهد من الشعر، مادته "بلج"، "البلج": إشراق الصبح وضياؤه. قال الشاعر: اشتدي أزمة تنفرجي / وفي "قاموس الجيب" قاموس مدرسي، الشاهد من القرآن للمادة المشروحة "أمين": (ج) أمناء. رجل أمين: الموثوق به، أي الذي يوثق به (واني عليه لقوي أمين). أما في

"الهدى" قاموس مدرسي. و"مرشد الطلاب" قاموس مدرسي. و"المفتاح" قاموس عربي أبجدي مبسط. فقد أغفلت هذه القواميس القيمة المضافة للشاهد.

- 32- عيسى مومني، المنار، قاموس مدرسي، مادة: "و.ت. ر".
- 33- إبراهيم السامرائي، من سعة العربية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1414 هـ / 1994 م، ص 112.
- 34- ويعني به ترتيب المداخل في المعجم وبالأحرى في نصه، وينقسم الترتيب إلى قسمين: أ - الترتيب الخارجي، وهو ما يظهر في المعجم العربي الذي جرب مناهج متعددة من الترتيب: الصوتي، الترتيب بأواخر الكلمات، الترتيب حسب المعاني أو المواضيع، الترتيب الألفبائي. ب - والترتيب الداخلي الذي تحشر فيه كل المعاني والدلالات. *محمد رشاد الحمزاوي، المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة / مصطلحاتها ومفاهيمها، ص 211، 212، 213، 384.
- 35- محي الدين محاسب، حوار له، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ناشرون، ط 1، 2009، ص 235.
- 36- عبد الرحمن، الحاج صالح، حوار له، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ناشرون، ط 1، 2009، ص 86 .
- 37- مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، 2009، ص 53.
- 38- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص 3.
- 39- عيسى مومني المنار، قاموس مدرسي، مادة: لَحَق.
- 40- عبد الهادي ثابت، اللسان العربي الصغير، قاموس عربي، مادة: كَرَم.
- 41- عيسى مومني، المنار، قاموس مدرسي، مادة : اتَّعد، اتَّصل.
- 42- محمد رشاد الحمزاوي، المعجمية، مقدمة نظرية ومطبقة / مصطلحاتها ومفاهيمها، ص 46.
- 43- محمود فهمي حجازي، علم اللغة مدخل تاريخي مُقارن في ضوء التراث واللغات السامية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973، ص 303.
- 44- نفسه، ص 312، 313.
- 45- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، 1994، الدار البيضاء، المغرب، ص 19.
- 46- عيسى مومني، المنار قاموس مدرسي للطلاب، مادة: عَجَز.
- 46- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 320.
- 48- عيسى مومني، قاموس مدرسي للطلاب، مادة " ر.ك.ز".
- 49- نفسه، مادة : "م.ث.ل".
- 50- إبراهيم السامرائي، من سعة العربية، ص 110.
- 51- نفسه، جملة من النماذج في الجديد من الأفعال، ص 110، وما بعدها.
- 52- قاموس النجيب، قاموس مدرسي، منشورات نوميديا، مادة: عدل، ص 170.
- 53- نفسه، مادة: "عدل".
- 54- عيسى مومني، المنار قاموس مدرسي للطلاب، المادة المعروضة للشرح والتفسير "الأحد".
- 55- عبد الغني أبو العزم، مقدمة معجم "الغني الزاهر" مرجع سابق، ص 31.
- 56- أحمد عمر مختار، صناعة المعجم الحديث، ص 40.
- 57- عبد الغني أبو العزم، مقدمة معجم الغني الزاهر، مرجع سابق، ص 31.